الأستاذ محمد أوجرتني
جامعة الأمير عبد القادر
كلية الأداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ
ملخص المشاركة في ملتقى الجغرافيا الدينية.
محور المداخلة: المحور الخامس الجغرافيا الدينية و مستقبل العالم..

عنوان المداخلة: المستقبل في ظل صراع الحضارات ودور الفكر الإسلامي في تأمين مستقبل البشرية.

ملخص

يشكل الصراع في فلسطين أحد أطوار التدافع التاريخي بين المسلمين و اليهود والمسيحيين والذي امتد لعقود طويلة ويؤكد بجلاء اهمية المكان في ثقافة مختلف الأطراف التي تسعى للاستحواذ عليه كل وفق رؤيته وعقيدته.

وقد نجح الغرب بعد الغاء الخلافة العثمانية سنة 1924 في عزل فلسطين بكل ما تحمل من عمق ديني وشعوري لدى المسلمين عن المخيال السياسي للأنظمة والقوميات العربية الناشئة التي جاءت بعد ترتيبات سايكس بيكو، وخاض الغرب الجديد حروب الاستحواذ على فلسطين وفق مراحل مدروسة وخطوات محددة، من منطلق ديني بحت، واستطاع تحييد العقيدة الدينية الاسلامية عن ساحة الصراع، فتوالت النكسات والنكبات في المواجهة مع الغرب الصهيوني الذي استطاع منذ 1917 تكوين جبهة عالمية لتأييد حق وجوده في فلسطين، وتوجت مساعيه الخثيثة بالتحالف الاستراتيجي بين المسيحية واليهودية، وطي صفحة الأحقاد الماضية التي قلبها البابا يوحنا بولس الثاني ذات سنة من 1998 بصك غفراني متميز أعلن فيه براءة اليهود من دم المسيح عيسى نبي النصارى.

وفي مرحلة الاستحواذ الأخيرة أرسى الغرب أسس علاقات دولية جديدة جعلها تقوم على ثنائية الصراع بين الخير المطلق " الغرب الإنساني المتحضر والمتفتح" وبين الشر المطلق "العالم الإسلامي وعناصره التاريخية والدينية رمزا للتطرف والغلو والظلامية والرجعية" وقد استفادت دوائر التفكير الغربية وحكومات الظل الراهنة من المفاهيم الجديدة التي ساقها صمويل هنتنغتون من خلال كتابه صدام الحضارات ونهاية التاريخ، وكذا فرانسيس فوكوياما الذي أوقد نار الحقد والصراع في الغرب من خلال أطروحته "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" التي ألفها سنة 1992. وقد عمل كلا الكتابين على بعث صور الحقد والكره والتوتر معتبرين أن التعايش بين الحضارات العالمية ضرب من الغباء والغفلة وينبغي للغرب الجديد أن يأخذ زمام المبادرة وأن نهاية التاريخ هي بيد الليبرالية الديمقراطية

الغربية التي انتصرت على الهمجية والبدائية وبالتالي لا تنتج البشرية أرقى ولا أفضل مما أنتجه الغرب وأن التاريخ البشري قد وصل إلى "نهايته".

ويجري السعي حثيثا لقولبة الشرق الأوسط لاحتضان الانسان الأخير واستقبال معالم النهاية التي ترتبط بعقائد المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم.

الكلمات المفتاحية:

فلسطين اليهود المسيحيين الغرب الصهيوني الصدام الحضاري صمويل هنتنغتون فرانسيس فوكوياما.

Summary

The conflict in Palestine represents one of the phases of the historical contention among Muslims, Jews, and Christians, which has extended for many decades and clearly underscores the significance of the land in the culture of the various parties seeking to control it, each according to their own vision and creed.

Following the abolition of the Ottoman Caliphate in 1924, the West succeeded in isolating Palestine, with all its deep religious and emotional resonance for Muslims, from the political imagination of the emerging Arab regimes and nationalisms that arose after the Sykes-Picot arrangements. The new West waged wars of acquisition over Palestine through well-studied stages and specific steps, from a purely religious standpoint. It managed to neutralize the Islamic religious doctrine from the arena of conflict, leading to successive setbacks and disasters in the confrontation with the Zionist West. Since 1917, the latter has been able to form a global front to support its right to exist in Palestine. Its persistent endeavors culminated in a strategic alliance between Christianity and Judaism, and the turning of the page on past animosities, which Pope John Paul II reversed in that same year of 1998 with a distinctive indulgence declaring the Jews innocent of the blood of Christ Jesus, the prophet of the Christians.

In the final stage of acquisition, the West laid the foundations for new international relations based on a dichotomy of conflict between absolute good – "the civilized, open-minded, and humane West" – and absolute evil – "the Islamic world and its historical and religious elements, a symbol of extremism, fanaticism, obscurantism, and reactionism." Western think tanks and current shadow governments have benefited from the new concepts put forth by Samuel Huntington in his book *The Clash of Civilizations and the End of History*, as well as Francis Fukuyama, who ignited the flames of hatred and conflict in the West through his thesis *The End of History and the Last Man*, written in 1992. Both books worked to revive images of hatred, animosity, and tension, considering coexistence between global civilizations a form of stupidity and negligence. They argued that the new West should take the initiative and that the end of history is in the hands of Western liberal democracy, which has triumphed over barbarism and primitivism. Consequently, humanity will not produce anything higher or better than what the West has produced, and human history has reached its "end."

There is a vigorous effort underway to mold the Middle East to embrace the last man and receive the signs of the end times, which are linked to the beliefs about the Antichrist and the descent of Jesus, son of Mary.

Keywords:

Palestine, Jews, Christians, Zionist West, Clash of Civilizations, Samuel Huntington, Francis Fukuyama.

عناصر المداخلة:

توطئة

مفهوم الصراع الحضاري.

الشرق الأوسط في مجال الصراع الحضاري.

الفكر اليهودي: أرض الميعاد.

الفكر المسيحي وأرض الخلاص.

في الفكر الإسلامي أرض المحشر:

صراع الحضارات في الفكر الإسلامي.

الحضارة الإسلامية.

صراع الحضارات في الفكر المسيحي واليهودي.

الصدام الحضاري ونهاية التاريخ لفوكوياما وهنتنغتون.

نهاية التاريخ وتمثلاته في الحضارة الإسلامية:

خاتمة:

توطئة

إن فكرة الصراع بين الحضارات فكرة قديمة لا ترتبط بتاريخ محدد، وقد ساقت كتب التاريخ لنا أخبارا كثيرة عن الإمبراطوريات السابقة وصراعها من اجل الهيمنة والبقاء، في الصين والهند والروم وفارس وبلاد المغول، وحينما ظهر الإسلام وانطلقت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا لتبليغ رسالة التوحيد للناس اصطدمت بفارس وبيزنطة وكانت بينهما جولات كثيرة، وقد اعتبر الروم المواجهة مع المسلمين مواجهة مصيرية ولا يمكن التغافل عنها، خاصة بعد فتح الشام وشمال افريقيا وبلوغ الأندلس جنوب أوروبا.

ولم تكن عودة للانتقام بالنسبة للروم سهلة وبقيت معلقة حتى 1085م تاريخ بداية الحروب الصليبية التي واجهت فيها الحضارة الإسلامية في بداية ضعفها فلول الصليبيين من مختلف أقطار أوروبا، الذين احتلوا أغلب مدن الشام ومنها القدس الشريف، وعاشت الدولة العثمانية 1299-1924 كذلك تجارب كثيرة في هذا الإطار

حينما وجهت جيوشها لفتح أوروبا بعد سيطرتها على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين سنة 1453، وبسطت نفوذها على أغلب الحوض الجنوبي للبحر المتوسط والبلقان، وأسست إيالات عربية تابعة للخلافة العثمانية منها الجزائر تونس طرابلس مصر الشام وغيرها.

وكان الغرب يحس بهذه التحولات مترقبا دوما العودة لاسترجاع مناطق نفوذه ورافضا تماما فكرة التعايش جنبا إلى جنب وقد عجت الكتابات في هذه الفترة بعبارات التأجيج والتأزيم والشعور بخطر الوجود العثماني مستعملة كل ما يخدم احتقار الآخر والنيل منه، فهذا القس الفرنسي بيار دان يقول :"ومهما يكن فإنني لم أجد في العالم من يستحق أوصاف البخل والحقارة من الأتراك والبربر، وليس أدل على ذلك أكثر من استمرارهم في ممارسة أعمالهم الحمقاء التي لا شفقة فيها، وتعذيبهم للنصارى الأسرى لديهم لا حد له"[1]. في نفس التوجه يكتب الضابط الفرنسي كذلك "دو غرامون" في مقدمة كتابه تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية[2]، حيث لم يستطع التجرد من الخلفية الدينية التي كانت تحكم الصراع بين الشرق والغرب، فيقول :" لقد كانت –تركيا- تمثل فزعا كبيرا وأزمة حقيقية للمسيحية، ولم تستطع أي مجموعة أوروبية أن تكون في منآى من ربابنتها وفرضت ضريبة ذل، على ثلاثة أرباع دول أوروبا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية"[3]، ثم يردف "لقد استطاع الأتراك القضاء على الفرقة في البلاد والفوضى وتمكنوا من توحيد جميع البلاد نحو عدو واحد هو "المسيحية"[4].

وقد تظافرت جهود الغرب من أجل الإطاحة بحكم الدولة العثمانية وتفكيكها والعمل على استقلال الأقاليم العربية عنها ومن ثمة احتلالها، وما إن حلت بداية القرن العشرين الميلادي حتى تحققت أهداف الغرب وتحكموا في البلاد العربية والإسلامية وكانت من أبرز حلقات هذا التحول اقحام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى 1914-1918 وخروجها مفككة ومنهكة ومنهزمة، حيث فرضت عليها معاهدات قاسية تحد من علاقتها بالبلاد العربية، وأما هاته الأخيرة فقد قسمت إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا في اطار اتفاقية سايكس بيكو 1916، وهكذا خرج الغرب كقطب عسكري واقتصادي وسياسي وحيد وباتت حضارته المادية المفلسة جاهزة لتفرض على بقيت دول العالم.

1- Pierre Dan, histoire de barbarie et de ses corsaires des royaumes, & des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, & de Tripoli. 2e ..édition. Paris, Pierre Rocolet, Imprimeur & Libraire .1646. p 397

2 - يحمل عنوان الكتاب أكثر من دلالة ويتضمن توجيها غير مباشر لنفسية القارئ في رواق خاص يوصله إلى نتائج معينة.

3 - - De Grammont H.-D. Histoire D'Alger .sous la domination Turque (1515-1830) Ernest Leroux, éditeur PARIS 1887. préface.

4 - ibid, p411.

مفهوم الصراع الحضاري.

يتباين استعمال هذا المصطلح من كاتب لآخر وفق النزعات التي تؤثر في كل أحد، فمنهم من يستعمل مصطلح الصراع الحضاري ومنهم من يستعمل صراع الثقافات واستعمل أشهر كاتب أمريكي مصطلحا جديدا هو صدام الحضارات..

فما هي الحضارة وأين مكانها من التعايش العالمي؟

الحضارة هي مجموعة من القيم الإنسانية التي تبلورها مجموعة بشرية معينة وتحقق من خلالها التفوق على غيرها من الكائنات البشرية في المجالات المختلفة.

والحضارة هي نتاج تراكمي فكري وثقافي ومادي لأمة من الأمم، ويميزها عن غيرها، ولا تقتصر الحضارة على المظاهر المادية والبنى التحتية فقط بل تضم أيضاً الأعمال الفكرية والمعنوية والرياضية التي تحققها، وتؤثر الحضارة في سلوك الناس حيث تساهم في بناء نظام اجتماعي محكم، وترسم ضوابط لاستغلال أمثل للموارد الاقتصادية وتوزيع الثروة والاعباء بالعدالة بين الناس.

ويؤكد الباحثون أن الاستقرار السياسي والشعور بالأمن والسلام والحرية تشكل دافعا أساسيا عند الناس فيتحرر دافع الإبداع لديهم، ويتحقق المزيد من الازدهار والرقي في شتى المجالات.

ولا تكون الحضارة إلا بوجود ثقافة نامية حتى ترتقي إلى مراتب القوة والكمال والتي لا تكون بدون وجود ثقافة واعية قوية ومؤثرة[1] تقود الناس نحو مراتب القوة والسيادة والنفوذ، فتتحكم جيدا في البيئة وتتخلص من مواريث الدجل والكهانة.

ويقول ارنولد توينبي لدى تطرقه لتعريف الحضارة ر

والأكيد أن جميع الأجناس البشرية مؤهلة لبناء الحضارة، وأن اختلاف الحضارات يعود إلى تباين العوامل والظروف التاريخية[2]فلا يشترط عمق ثقافي متميز لبناء حضارة رائدة.

بينما يرى الجابري أن الثقافة هي مركب متجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات التي تحتفظ الجماعة البشرية من خلالها بهويتها الحضارية[3]. فالثقافة البائسة التي تقوم على الطقوس البالية والفلكلور الجاف كثير الألوان والزركشات والحركات والصياح لا تؤهل المجتمع لبلوغ عتبات التحضر أو التفكير فيه، حيث يسعى الناس إلى تقديس الألوان وتقديس الشطحات والحركات ولا تسمح بمرور الأفكار

---

1 – ناظم عبد الواحد الجاسور، الفكر السياسي الأمريكي المعاصر صراع الحضارات وأحداث 11 من سبتمبر، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ابو ظبي، 2003. ص13.

2 – ناظم عبد الواحد الجاسور، المرجع نفسه ص15

3 – ناظم عبد الواحد الجاسور، الفكر السياسي الامريكي المعاصر صراع الحضارات واحداث 11 من سبتمبر، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ابو ظبي، 2003. ص14

المبدعة والبرامج العلمية والمنهجية، وتخلق حالة من العداوة بينهما لأن أيقوناتها ترتبط في ما بينها بمصالح خفية وفق دوائر معلومة تجني منها ريوع الغباء وضريبة الإتباع المفلس للعناصر البشرية المنضوية.

فلا حضارة ولا تحضر لمن يُقيد نفسه وفكره بقيود التراث البالي تحت عنوان الحفاظ على إرث الأجداد والآباء أو تحت أي مسمى آخر.

وفي كتابه موضوع الدراسة يعتبر هنتنغتون أن طبيعة الحضارات قد تغيرت مفاهيمها وخرجت من النسق العريفي الكلاسيكي فخلال الحرب الباردة كما يقول كان العالم منقسمًا إلى أول وثان وثالث، ولم تعد هذه الانقسامات ذات معنى اليوم، والأجدى ليس تصنيف البلدان في مجموعات من حيث نظمها السياسية أو الاقتصادية أو من حيث مستوى تطورها الاقتصادي، وإنما من حيث ثقافتها وحضارتها وانما وفق انتمائها الحضاري كما يريد أن يقول.

ويتساءل هنتنغتون "ما الذي نعنيه عندما نتحدث عن حضارة ما؟" ويجيب بالقول بأن الحضارة هي كيان ثقافي أولا قبل أن تجمعه قوانين سياسية واقتصادية. فالقرى والأقاليم والمجموعات الإثنية والقوميات والمجموعات الدينية، لها جميعها ثقافات متميزة. رغم عدم تجانسها الثقافي الظاهري. فثقافة قرى جنوب إيطاليا كما يقول مختلفة عنها في قرى الشمال لكنها تشترك جميعا في ثقافة إيطالية مشتركة تميزهما عن القرى الألمانية والمجتمعات الأوروبية. وبدورها هذه الكيانات تتقاسم ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية. إن هذه الكيانات تمثل حضارات و هي أعلى تجمع ثقافي للناس. فالحضارة هي كيان ثقافي أوسع يجمع بين مجموعات ذات ثقافات فرعية متميزة1.

ويحدد هنتنغتون أن العناصر المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات تشكل هوية الناس فمن يقيم في روما يحس بانتماء متدرج في الهوية، بدءًا من أنه روماني أو إيطالي أو كاثوليكي أو مسيحي أو أوروبي أو غربي، والحضارة التي ينتمي إليها هي الحضارة الغربية الحديثة.

ويؤكد هنتنغتون أن وضع الحضارات في تبدل مستمر وقد تتضمن حضارات فرعية. فالحضارة الغربية صورتان متغايرتان أساسيتان: الأوروبية والأميركية الشمالية، وللإسلام أقسامه الفرعية العربية والتركية والماليزية. وهكذا فخطوط التقسيم الحضاري غير خطوط التقسيم السياسي الكلاسيكي بين الدول ومن أجل ذلك يجب أن تؤخذ هذه القياسات بعين الاعتبار فالإطار الأوسع للتاريخ الإنساني كان تاريخ الحضارات. وقد حدد أرنولد توينبي في دراسته للتاريخ إحدى وعشرين حضارة رئيسية، لا يوجد منها في العالم المعاصر اليوم إلا ست فقط والباقي اندثرت2.

.الشرق الأوسط في مجال الصراع الحضاري.

---

1 – صامويل هنتنغتون، الغرب وبقية العالم: بين صدام الحضارات وحواراتها' منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق بكر حسن، بيروت، لبنان، 2000، ص13

2 – صامويل هنتنغتون، المرجع السابق، ص13

الشرق الأوسط هو مصطلح جيوسياسي حديث استعمل للدلالة على أهم منطقة جغرافية في العالم بعمق تاريخي كبير ضارب في الماضي، وبتنوع ثقافي وديني كبير حيث التقت بها كل الديانات السماوية وبها عاش وناضل وجاهد الأنبياء أقوامهم من أهل البغي والفساد، ولا يكاد يخلو شبر منها من أثر ديني وتاريخي عريق، كما تحتضن المنطقة ثروات طبيعية كبيرة ومناخ معتدل إلى حار لكنه محفز على التوريث والتوالد الحضاري، وهي ملتقى الطرق والمعابر الدولية الكبرى.

الشرق الأوسط هو مهد الحضارات القديمة ونقطة التقاء بين ثلاث قارات آسيا افريقيا وأوروبا.

ومهما سعينا لتعريف الشرق الأوسط ككيان سياسي فان التباين في تعريفه سوف يحد من المحاولة وهو عموما يضم بلاد العراق وايران ومصر وتركيا "الاناضول" وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وأقطارها الاربعة سوريا لبنان الاردن وفلسطين.

والراجح ان مصطلح الشرق الاوسط midle east مصطلح غربي ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي واول من استعمله هو الاستراتيجي الفريد تاير في مقال نشره سنة 1902 بعنوان " خليج فارس والعلاقات الدولية" في مجلة .... وجه الانظار إلى أهمية المنطقة التي تدور حولها مصالح الغرب في المستقبل.

الفكر اليهودي: أرض الميعاد.

تمثل في العقيدة اليهودية، "أرض الميعاد" الأرض التي وعد الله بها بني إسرائيل، وتحديدًا الأراضي التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات وفقًا للتوراة المحرفة، وعد الله إبراهيم ونسله بهذه الأرض كعربون على العهد الذي أبرمه معهم كما تضيف الوثيقة.

فأرض الميعاد هي أرض مقدسة بالنسبة لليهود شهدت أحداثًا تاريخية كبيرة. **كما تمثل في معتقدهم عنوان هوية والعودة** إليها تحقيق لنبوءات التوراة.

وتحمل التوراة العديد من النصوص التي تتحدث عن وعد الله لإبراهيم وذريته بمنحهم أرض كنعان "فلسطين"، والتي أصبحت تُعرف لاحقًا باسم "أرض الميعاد" منها ما جاء في سفر التكوين الاصحاح الثاني عشر: " وظهر الرب لأبرام وقال: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ" وفي الاصحاح الثالث عشر يقول:" قال الرب لأبرام... ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد" وقال " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ".

وفي سفر الخروج جاء قوله " نزلت لأنقذهم من يد المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنًا وعسلًا" وقال " وأتخذكم لي شعبًا وأكون لكم إلهًا... وأُدْخِلُكُمُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَأُعْطِيكُمُوهَا مِيرَاثًا"

وأما في سفر التثنية فقد جاء القول " انظر، قد جعلت أمامكم الأرض. ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم" وقال "متى أتى بك الرب إلهك إلى

الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وتطرد شعوبًا كثيرة من أمامك... ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فحرمهم تحريمًا".

وفي سفر يشوع قال " كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير، نهر الفرات، جميع أرض الحثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم".

ويرى كثير من المؤرخين أن هذه النصوص كُتبت في وقت متأخر بعد السبي البابلي، لتعزيز الهوية القومية والدينية لليهود، وليست موثوقة.

وأن التوراة ليست نصا تاريخيا قطعي الثبوت بل هي نص ديني يحمل معاني رمزية وأهداف أيديولوجية، كتبت في فترات مختلفة. وأن فكرة "أرض الميعاد" تكون قد نشأت من تلقي أساطير قديمة وخرافات وقصص شعبي، وتم تضمينها في النصوص الدينية لتعزيز شرعية وجود بني إسرائيل في تلك المنطقة.

الفكر المسيحي وأرض الخلاص.

يزعم البعض أن الشرق الأوسط في الفكر المسيحي يمثل "أرض الخلاص" والحقيقة ليس في الفكر الكنسي أي منطقة جغرافية يعتقد على أنها "أرض الخلاص" ومع ذلك فإن هذه المنطقة لها مكانة روحية في العقيدة المسيحية لأسباب منها:

هذه الأرض شهدت ميلاد المسيح وحياته حيث وُلد في بيت لحم بفلسطين وقضى طفولته في الناصرة والجليل. ومات بها بعدما صُلب في البيت المقدس ومنها كان صعوده إلى السماء.

ومدينة القدس عند المسيحيين مدينة مقدسة لأنها شهدت آلام المسيح وقيامته ورغم ذلك لا تفرض العقيدة المسيحية على أتباعها الحج إلى القدس كشرط للخلاص من الذنوب وطلب المغفرة.

وخلاصة القول فإن المسيحية لا ترتبط بجغرافيا محددة للخلاص واعتبرت أن الروحانية التي يتسم بها المؤمن كفيلة بتحقيق خلاصه وسموه مهما كانت الأرض التي يسكنها، إذا كان ارتباطه بالله صحيحا[1].

وهذا ما نستشفه من خلال نصوص العهد الجديد :يركز على تعاليم المسيح عن الخلاص، مثل إنجيل يوحنا، إنجيل متى، وأعمال الرسل.

غير أن الشرق الأوسط يشكل عند بعض المسيحيين، خاصةً الإنجيليين مجالا مقدسا لأنه سيحتضن نبوءات نهاية الزمان. منها عودة المسيح التي ستكون في القدس، مما يجعل الاعتقاد من أن أحداثا جللا ستقوم في الشرق الأوسط في آخر الزمان[2].

---

1 - جورج شحاتة قنواتي القدس في المسيحية: بين القداسة والرمزية

2 -محمد عمارة، أرض الميعاد بين الوعد الإلهي والتفسير السياسي، دار القلم، القاهرة، دت، ص12.

في الفكر الإسلامي أرض المحشر:

تحظى بلاد الشام وفلسطين بمكانة عظيمة في الفكر الإسلامي، وذلك لأسباب عديدة فهي فهي أرض الأنبياء[1]، اذ تعتبر بلاد الشام موطنًا للعديد من الأنبياء والرسل، مثل إبراهيم ولوط وموسى وعيسى عليهم السلام، وفيها القدس الشريف، أولى القبلتين، ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه وهي الأرض المباركة التي ذكرت في القرآن الكريم بأنها أرض مباركة، حيث قال تعالى :سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ."

كما ورد في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة فضل بلاد الشام ومكانتها في مرجعية المسلمين وثقافتهم وهي أرض الفتح الإسلامي التي شهدت فتوحات إسلامية كبيرة وحاسمة في عهد الخلفاء الراشدين، حيث فتحت القدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحسمت في الوجود البزنطي فيه مدة طويلة من الزمن.

كما تعتبر بلاد الشام من أهم مراكز الحضارة الإسلامية عبر التاريخ فهي أرض الرباط والجهاد خاصة فلسطين وقد ورد فيها عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أن بلاد الشام أرض رباط إلى يوم القيامة، أي أنها أرض جهاد ومقاومة للظلم والعدوان.

ويعتبر المسجد الأقصى المبارك رمزًا للمقاومة والصمود في وجه الاحتلال على مر العصور سواء خلال الحروب الصليبية 1095-1287 أو ما بعدها[2].

كما تعد أرض الشام أرض المحشر والمنشر أي فيها يحشر الناس وعلى أدمها يبعثون يوم القيامة وقد ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة أن أرض الشام ستشهد ملاحم آخر الزمان[3]، وانتهاء الحياة الدنيا وقيام الناس للحساب يوم الدين.

وبناءً على كل ذلك تحتل بلاد الشام وفلسطين مكانة خاصة في قلوب المسلمين، وتعتبر جزءًا لا يتجزأ من الهوية الإسلامية.

صراع الحضارات في الفكر الإسلامي.

الحضارة الإسلامية:

إن المتأمل في أسباب نشوء الحضارات الإنسانية وارتقائها يجد اختلافا جوهريا بين نشأة الحضارة الإسلامية بمختلف تمثلاتها السياسية والحضارية ونشأة الحضارات البشرية الأخرى، فالحضارة الإسلامية انطلقت دون غيرها بفكرة عرض عقيدة التوحيد على الناس ودعوتهم للإيمان بها بقناعة راسخة، فآمنوا بها وساهموا بدورهم

---

1 -محمد عثمان شبير، بيت المقدس وما حوله خصائصه العامة وأحكامه الفقهية، مكتبة الفلاح، الكويت، 1987، ص19

2 - محمد عثمان شبير ، المرجع نفسه، ص50

3 - محمد عثمان شبير المرجع السابق، ص24

في نقلها وعرضها على الشعوب الأخرى. وهكذا مع مرور الوقت شكلت المجموعات البشرية الإسلامية الجديدة جزءا من جغرافية الحضارة الإسلامية.

وتصنف الثقافة الإسلامية عادة ضمن ما يعرف بحضارات الشرق التي تتسم بالهدوء والسلم والتفكر والتأمل في محيط الكون ومكونات البيئة التي يسكنها الناس، خلافا لثقافة الحضارات الغربية التي استعبدت الشعوب المخالفة لها كالرومان والجرمان والوندال والفيكينغ وغيرهم.

تتميز الثقافة الإسلامية التي استوعبت الفكر الإسلامي واستلهمت منه، بثبات مركزها القائم على النصوص الدينية القطعية المستمدة من الكتاب والسنة، ودورانها خلف ذلك الثابت أثناء حركية المجتمعات الإسلامية، داخل حقب التاريخ المختلفة، فالكتاب والسنة وإضافات رجال العلم والفقه والفكر العدول، على مر العصور شكل كل ذلك محور دوران الثقافة الإسلامية، تتأرجح حركة الدوران أحيانا في مدارات إهليلجية بسبب تنامي ضغوط قوى الجذب الخارجية لكن الشد المركزي يزداد ويحول دون انفلات عناصر الثقافة ومركباتها الأساسية.

وقد ورد مصطلح الدفع والدفاع والتدافع الحضاري في الفكر الإسلامي في موطنين من القرآن الكريم ففي سورة البقرة يقول الله تعالى "وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ الله الملك والحكمة وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ الله الناس بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرض ولكن الله ذُو فَضْلٍ عَلَى العالمين"، وفي سورة الحج ورد في قوله تعالى:" ولَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ"[1]، وقد سار أغلب المفسرين في تأويلهما بكون التدافع الإنساني قضية كونية وأن الحرب ضرورة اجتماعية، ودفع الناس بالناس تتحقق به مصلحة سامية تتمثل في تغيير موازين القوى البشرية بينهم، فلا يستمر الظالم في ظلمه أبدا ولا يبقى العاجز مرهونا بضعفه طول الوقت، وأنه لولا وجود قوة أمام قوة لفسد العالم، و لو تسيطر قوة واحدة على الكون لفسد وزال.

والدفع الذي ينسبه الله عز وجل لنفسه إنما يتحقق بالناس ليتحقق المراد منه، مثلما جاء في قوله عز وجل في سورة التوبة الآية14: " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ"[2].

والحقيقة أن أغلب التفاسير تركز على معاني الجهاد والقتال في تأويل الدفع والدفاع والتدافع بين الناس[3]، لكن المتأمل في عمق المعاني والمقاصد التي جاءت بها الشريعة الإسلامية يدرك أن التدافع والدفع

---

1 – والجدير بالملاحظة أن قراءة الدفع والتدافع مختلفة عند أصحاب القراءات فقد قرأ نافع أبو جعفر يعقوب (دِفَاعُ بكسر الدال، وألف بعد الفاء وأما باقي الرواة فقرؤوا (دَفْعُ) بفتح الدال، وسكون الفاء. وعلل بعضهم قراءة من قرأ قوله تعالى: ولولا دفع الله الناس في البقرة وفي الحج أن لكل حجته فمن قرأ وأسقط الألف أنه أراد المصدر من (دفع دفعًا) وأما الحجة لمن أثبتها: أنه أراد المصدر من (دافع دفاعًا).

2- https://www.masrawy.com/islameyat/quran-ayt_elyoum/.

أكبر من مجرد الاقتتال والجهاد، وأن الجهاد والقتال مظهر من مظاهر الدفع والتدافع بين الناس، والذي يشمل كل المظاهر الحاصلة بينهم بفعل الاحتكاك بينهم، وقد يكون الدفع والتدافع في ميادين العلم والمعرفة وفي مجالات الزراعة والصناعة والبناء والعمران والمنشآت المختلفة المدنية والعسكرية التي تمنح لمن يتفوق فيها مكانات رائدة ومراتب سامية وتحقق التفوق الذي يغير موازين القوى فيرفع أمما ويؤخر أمما أخرى.

وقد دلت تقريبا على هذا المعنى كتب النحو والمعاجم اللغوية ففي معجم المعاني فسرت لفظة التدافع التي هي من فعل تدافع بالتزاحم ودفع بعض لبعض منها تدافع النَّاسُ فِي الزَّحْمَةِ أي دَفَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، ونقول تَدَافَعَ السَّيْلُ أي دَفَعَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وتَدَافَعَ السَّيْلُ انْدَفع، وتدافع اللاعبون الكُرة أي تناقلوها، وتدافع الناس الشيء أي كُلّ واحد منهم يدفعه عن صَاحِبه، وتَدَافُعُ الجُمْهُورِ أَمَامَ بابِ الْمَلْعَبِ دَفَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً[1].

فالتدافع من حيث اللغة لا يحتمل سوى معاني الدفع والتزاحم والاحتكاك الحاصر بين الناس وهو المراد من قوله تعالى في الآيتين السابقتين.

ومنه يمكن القول أن التدافع الحضاري في الفكر الإسلامي هو تحريك للقدرات الإيجابية للإنسان للحفاظ على العمارة الكونية وهذا ما يندرج ضمن التكريم الذي حصل عليه الانسان والتسخير لمظاهر الطبيعة التي يستغلها الانسان ويغيرها في شتى المستويات.

---

3 – جاء في تفسير اية التدافع في سورة البقرة قول ابن كثير:" ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" أي لولاه يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت لهلكوا جميعا، وقال السعدي بقول المقاتلة أي لولا أنه عز وجل يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى وإظهار دينه"

وقال القرطبي ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد، وساق قول أكثر المفسرين في أن لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لأهلك الناس بذنوبهم.

وفسر الطبري بما يصب في معاني السابقين كذلك وذكر نمطا جديدا من الدفع الذي يقوم به المؤمن من خلاله صلاحه وقربه من البارئ عز وجل فيكرم به الله أقواما من أهله ومن حوله فيدفع عنهم دوائر البلى والنكبات.

وأما قولهم في آية سورة الحج فمنهم بن كثير حيث قال : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض (أي : لولا أنه يدفع عن قوم بقوم ، ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف.

وقال القرطبي ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات ، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة . فالجهاد أمر متقدم في الأمم ، وبه صلحت الشرائع ، واجتمعت المتعبدات.

وقال الطبري: ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ: ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين. وقال آخرون: معنى ذلك: ولولا القتال والجهاد في سبيل الله. وذكر من قال بذلك عن يونس عن ابن وهب عن بن زيد وقوله تعالى :ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ قال لولا القتال والجهاد..

1 – انظر قواميس اللغة المعاني، والفيروز أبادي والقاموس المحيط.

ولم يطرح الفكر الإسلامي معنى الصراع الحضاري الذي يمارسه الغرب بعد تربعه على سدة حكم العالم منذ القرن السادس عشر الميلادي،

وعلى مر العصور دأب الفقهاء والمنظرون الاسلاميون على تطهير ساحة الإسلام من القيم العدائية التي يسعى غلاة العلمانيين والحداثيين الغربيين والعرب لإلصاقها به

فهذا المفكر الفرنسي المسلم روجي غارودي يصرح أن الإسلام دين البشرية جميعا ودين المستقبل فهو يجمع بين العلم والايمان وبين الروح والتصوف وبين الفن والصلاة[1]، ما عجزت عن ذلك كل المذاهب والنحل البشرية الأخرى.

ويرى المفكر المصري توفيق الواعي في كتابه الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارات الأخرى أن التراجع الحضاري الحاصل اليوم ليس نشازا أو نهائي ودائم فإن دورات الحضارة في التاريخ كثيرة ترفع أقواما وتنزل بآخرين[2].

وأن التراجع الحاصل اليوم مرده إلى إهمال الاعتناء بالإنسان الذي يشكل محور التغيير الأساسي[3].

كما اعتبر أن الأزمنة السابقة أكدت أن الحضارة الإسلامية قامت بدورها الريادي واستوعبت الحضارات الاخرى بل وعملت على ترقيتها، ومهما طال الوقت فالمسلمون قادمون ليعيدوا مكانتهم تحت ضوء الشمس والحرية.

وقد تباين منظرو الفكر الإسلامي في التعامل مع فكرة الصراع الحضاري ففي كتابه معالم في الطريق يعتبر سيد قطب أن المواجهة مع الغرب حتمية ومصيرية بحكم فساد الحضارة التي أنتجها معتبرا إياها حضارة مادية منحرفة.

في مقابل ذلك كان جيل الشيخ يوسف القرضاوي ومحمد الغزالي والبوطي يرون إمكانية بل وجوب الحوار والتعايش بين الحضارات، وضرورة إقامة علاقات قائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم وإشاعة التسامح وهي أجواء يغلبها الفكر الإسلامي، حتى تمتد رسالة الإسلام والتوحيد في عمق المجتمعات وتقيم الشهادة على الناس. وفي هذا يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي بضرورة قراءة الآخر،

---

1 – روجي غارودي، الإسلام دين المستقبل، ترجمة عبد المجيد البارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر

2 – توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، مصر 1988ص140.

3 – توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، مصر 1988ص184.

ومعرفة أسباب قوته في كتابه شروط النهضة، والذي أبرز فيه أسباب التخلف وسبل النهوض بالعالم الإسلامي[1].

ويرى المفكر الإسلامي محمد عمارة أن دعوة فكرة "الحضارة الانسانية حضارة واحدة لا فروق بينها" انما هي دعوة مرفوضة يقصد من ورائها تجاوز الحضارة الإسلامية التي تتميز بخصوصيتها وعدم قابليتها للذوبان في المنظومة الغربية، وساق محمد عمارة حوار ديميكليس عندما كان رئيساً للمجلس الوزاري الأوروبي، بعدما سأله مراسل نيوزويك، الأمريكية، عن مبررات بقاء حلف الأطلنطي بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والمعسكر الذي كان اشتراكياً؟

فأجاب: بأن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة. إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي. فساله مجددا مراسل نيوزويك كيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟ فقال ينبغي أن تحل أوروبا مشاكلها ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة[2]..

صراع الحضارات في الفكر المسيحي واليهودي.

إن الحضارة الغربية المعاصرة اليوم هي نتاج للحضارات السابقة التي قامت في قارة أوروبا ومنها حضارة الرومان واليونان، فضلا عن تدثرها بتعاليم الكنيسة خلال القرون الوسطى، وبعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي وبداية الفتوحات في الشام والعراق اتخذت أوروبا موقفا عدائيا من الاسلام وشرعت في وبقيت تتربص

وتتأسس الحضارة الغربية المعاصرة اليوم على ثلاثة أصول[3]:

الأصل الأول: الفلسفات اليونانية والرومانية الإغريقية القديمة والتي استلهمت منها تمجيد العقل والبطولة والحكمة، وقد تغذت هذه الفلسفات بما بلورته النظريات الفلسفية التي أعقبت عصر النهضة والتي تؤسس لتفوق الرجل الأوروبي على غيره من السلالات البشرية الأخرى.

الأصل الثاني: التطورات العلمية والمعارف الكونية الحاصلة والمحصلة يوما بعد يوم والتي أسهمت في بلورة العقلية الغربية المبنية على الفكر العلمي ونبذ الخرافة وطرح الايمان بعالم الغيبيات.

الأصل الثالث: عمق الديانة المسيحية واليهودية وتجذر القيم الدينية في الفكر الغربي المستلهمة من كتب العهد القديم والعهد الجديد، برغم ما تحتويه من طقوس لاهوتية فاسدة، إلا أن الفكر الغربي يستند إليها في رؤية الآخر والحكم عليه حينا، وفي تلبية نداءات النفس البشرية الغربية الحائرة أحيانا.

---

1 – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص155 اخرجوا الاستعمار من أنفسكم يخرج من أرضكم.

2 – الإنسان ومستقبل الحضارة: وجهة نظر إسلامية منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة، المؤتمر العام للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن، 1993، ص693.

3 – محمد المبارك، الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، دار الفكر ، الطبعة02، دمشق 1973، ص40.

وقد هيمنت الحضارة الغربية وسيطرت على العالم منذ القرن 16م بسبب ركود التفكير العلمي وتفكك الحضارات الشرقية السابقة بما في ذلك الحضارة الإسلامية، التي بلغت مرحلة الشيخوخة، وانعزلت عن العالم وفقدت التأثير في مركز التحولات المتحكمة في العالم.

واستطاعت الحضارة الغربية أن تبلور مشروعا جديدا للبشرية من خلال تحقيق النهضة الاجتماعية الشاملة والرفاهية التي عمت المجتمعات شيئا فشيئا، وتطور الاقتصاد الغربي وصار أكثر فاعلية مقابل ضعف الشرق وانهيار الأنظمة الحاكمة المستبدة التي تحكمه[1].

ومع مرور الوقت زادت الحضارة الغربية توحشا وعدوانية وكان الحراك الذي عرفه العالم منذ بداية التاريخ الميلادي قد عرفت فيه البشرية ويلات الخراب والحروب والصراعات، ليس لسبب سوى لكون غرائز الرجل الأبيض المشبعة بحب التملك والسيطرة والعنف والأنانية، وما حملة الاسكندر المقدوني على الشرق التي قتل خلالها مئات الآلاف وهدم صروحا ودولا إلا ليثبت أنه من نسل الآلهة ويجري في شرايينه دم نقي من سلالة الجبابرة الذين لا يقهرون.

والعقل الغربي المعاصر اليوم تحكمه هذه الفلسفة التي انتهى إليها التكون الإنساني لما بعد النهضة، وأنتج العقل الغربي خطابا وتحليلا محكوما بقيم ومعايير محددة لتقييم الآخر من خلال الذات الغربية المركزية، فالأنا "المتعجرفة" ونوع النظرة إلى الآخر "التافه" انغرست في الذات الغربية كما يقول الجابري[2]. والمركزية الغربية وإشكالية التكون والوجود طبعت الحضارة الغربية بملامح شبه مطلقة وأحكام نهائية غير مستعدين للتنازل عنها[3].

وقد سعت الثقافة الغربية بمعية الحضارة المادية المعاصرة إلى تدجين الثقافات البشرية الأخرى ونجحت في ذلك إلى حد بعيد، حيث لم تجد في الثقافات الأخرى روح المقاومة والتميز باستثناء الثقافة الإسلامية، رغم استغلالها لكل الوسائط والآليات وتجنيد أغلب الأفكار والفلسفات ومراكز البحث وبرامج التعليم في مختلف أطواره لتجاوز عقبة الثقافة الإسلامية لكنها لم تفلح.

ولا تقف الثقافة والحضارة الغربية اليوم أمام الحضارة الاسلامية موقف المنافس العدل، بل موقف الخصم اللذوذ والعدو المشاكس، وبالأحكام المسبقة تتعامل معها خلافا لموقفها من الديانات والنحل الأخرى كالبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية[4]، وهذا ما تجلى في الحرب الإسلامية المعاصرة الأولى كما

---

1 – محمد المبارك، المرجع نفسه، ص46..

2 – محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1991، ص17

3 – الجابري. المرجع نفسه، ص17

4 – محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر، الرياض، السوعدية، ط02، 2001. ص 96

يطلق عليها أو الحرب الصليبية العاشرة، التي قادها جورج بوش الصغير رئيس الولايات المتحدة بعد هجمات سبتمبر 2001[1]، حيث صرح مرارا بعداوته للإسلام والثقافة الإسلامية، معتبرا أن الغرب هو مصدر الخير كله والعالم الإسلامي هو مصدر الشر كله[2].

وتحول الخوف من الإسلام إلى مرض وصار هاجسا بكل من يدين بالإسلام في مختلف المستويات، وكان من نتائجه التضييق على الجاليات وتطاول الغرب على الإسلام ورموزه والسعي للتنفير من الإسلام لأنه يهدد الغرب[3]، وأنه الخطر الجديد على الحضارة الإنسانية وقيم التمدن، وهذا ما صرح به الامين العام السابق للحلف الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة[4].

والتخوف من الإسلام والتخويف منه ليس أمرا جديدا كما يعتقد البعض ففي سنة 1095م وبمدينة كليرمونت[5] بفرنسا يقف البابا **أوربانوس الثاني** يخطب في جموع الجماهير الراحلة للشرق في إطار الحروب الصليبية :" أيها الجند المسيحيون لقد كنتم تحاولون من غير جدوى اثارة نيران الفتن والحرب فيما بينكم، أفيقوا فقد وجدتم اليوم داعيا حقيقيا اليها، اذهبوا الان وازعجوا البرابرة اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من ايدي الكفار المسلمين، أيها الجند أنتم الذين كانوا سلع الشرور والفتن ألا هبوا وقدموا قواكم وسواعدكم ثمنا لإيمانكم، هذا هو الوقت الذي تبرهنون فيه انكم شجعان فاثأروا لأنفسكم واغسلوا ايديكم بدماء أولائك الكفار واذكروا جيدا قول المسيح ليس مني من يحب أمه وأباه أكثر من محبته إياي، أما من يترك بيته ووطنه وأمه وأباه وزوجته وأبناءه وممتلكاته فسيخلد في النعيم ويجزيه الله جزاء كبيرا".

---

1 – هجمات 11 سبتمبر 2001 هي سلسلة من هجمات منسقة نفذها تنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001. واستهدفت

بواسطة طائرات مدنية ضرب برجي التجارة في مدينة نيويورك والبنتاغون في أرلينغتون، فيرجينيا. وتحطمت طائرة رابعة في حقل في شانكسفيل، بنسلفانيا، بعد أن قاوم الركاب وأفراد الطاقم الخاطفين. ونفذ العمليات تسعة عشر إرهابيا من القاعدة باختطاف أربع طائرات تجارية.

وأسفرت هذه الهجمات عن مقتل نحو 3000 مدني منهم 2,753 في مدينة نيويورك، و184 في البنتاغون، و40 في بنسلفانيا. فضلا عن المئات الذين ماتوا لاحقًا. وقد كان لهذه الهجمات تأثيرا كبيرا في الولايات المتحدة التي شرعت في ما يعرف بـ" الحرب على الإرهاب" واحتلال أفغانستان والعراق.

2 – ناظم عبد الواحد الجاسور، الفكر السياسي الامريكي المعاصر صراع الحضارات واحداث 11 من سبتمبر، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ابو ظبي، 2003. ص48.

3 – علي ابراهيم النملة، نقد العقل المعاصر، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها، دار الفكر ، دمشق، 2008، ص43.

4 – علي إبراهيم النملة، المرجع نفسه ص127.

5 – مدينة قديمة تقع جنوب شرق فرنسا وكانت موطن انطلاق حملات الحروب الصليبية. انظر : ماهر عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص50.

وقد توالت التصريحات الغربية ضد الإسلام حيث صرح السيد فيلي كلايس سكرتير عام حلف الناتو سنة 1995 مثلما ذكرنا سابقا بأن الأصولية الإسلامية[1] تمثل نفس التهديد الذي كانت تمثله الشيوعية للغرب وأن الحلف الأطلسي يمكن أن يساهم في مواجهة هذا التهديد[2].

وصرح "برنارد لويس" 1916-2018 مستشار وزارة الخارجية البريطانية والأمريكية والمتخصص في الدراسات الشرق أوسطية في كتابه الشرق الأوسط والغرب، أن الغرب كان حريصا على تغريب المنطقة العربية وأن نجاحه في ذلك بفضل تفكيك المنطقة وتجزئتها سياسيا وثقافيا واجتماعيا، وهذا أفضل السياسات التي اتبعها الغرب حيث زرع المنطقة بالفتن الطائفية والاجتماعية والخصومات والخلافات وليس من شك أن من يسعى لهذا يحزنه مشهد السلام بين الطوائف ويسعده اندلا ع الحروب بينها[3].

الصدام الحضاري ونهاية التاريخ لفوكوياما وهنتنغتون.

تعد نظرية نهاية التاريخ من أبرز أعمال أرسى الغرب أسس علاقات دولية جديدة جعلها تقوم على ثنائية الصراع بين الخير المطلق " الغرب الإنساني المتحضر والمتفتح" وبين الشر المطلق "العالم الإسلامي وعناصره التاريخية والدينية رمزا للتطرف والغلو والظلامية والرجعية".

ويعد صمويل هنتنغتون[4] مؤلف كتاب "صدام الحضارات ونهاية التاريخ"، وفرانسيس فوكوياما صاحب أطروحة "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" الذي صدر سنة 1992، من أكثر الكتب تأثيرا في السياسة الغربية لما بعد انهيار المعسكر الشرقي، حيث استمدت منهما دوائر التفكير الغربية وحكومات الظل الراهنة جملة المفاهيم الجديدة التي ساهمت في بذر ثقافة الحقد والكره والتوتر بين الحضارات العالمية.

يضم كتاب هنتنغتون عدة أفكار وقضايا تتعلق بالسياسة العالمية والصراع بين أقطاب العالم الفكري، وقد قسم كتابه إلى خمسة أقسام حيث تناول في القسم الأول لمحة عن الحضارات البشرية مقدما مقارنة بين الحضارات المختلفة وأوجه الخلاف والتشابه بينها، كما بين عوامل نشأة وصعود الحضارات

---

1 - ويقصد بالأصولية المسلم الموحد الوسطي في فكره الملتزم بدينه وعقيدته وأحكام شرعه

2 - عزمي طه السيد أحمد، هموم ثقافية في عصر العولمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2015. ص123.

3 - عزمي طه السيد أحمد، المرجع نفسه ص125

4 - رغم أفكاره العدوانية التي كانت نكبة على البشرية جمعاء حصل صامويل هنتنغتون حصل على العديد من الجوائز والأوسمة المرموقة تقديرًا لمساهماته الفكرية. منها جائزة بانكروفت في التاريخ الأمريكي والدبلوماسية *(Bancroft Prize in American History and Diplomacy):* سنة 1997 عن كتابه "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي". وجائزة جيمس ماديسون *(James Madison Award):* من طرف الرابطة الأمريكية للعلوم السياسية *(American Political Science Association)* تقديرًا لمساهماته المتميزة في علم السياسة. ونال وسام المواطن الرئاسي *(Presidential Citizens Medal):* وهو أحد أعلى الأوسمة المدنية في الولايات المتحدة، يُمنح للأفراد الذين قدموا خدمات استثنائية للبلاد.

التي لا تخرج من إطار فكرة ورغبة في التفوق وسلاح وصدام وهيمنة، وأما القسم الثاني من كتابه فقد خصصه للحديث عن ظاهرة التوازن المتغير بين الحضارات حيث أفرزت تراجع في الحضارة الغربية في جوانب معينة لحساب تصاعد اقتصادي آسيوي مشيرا إلى بداية تحرك الحضارة الإسلامية عالميا والبحث عن مكان تحت سقف العالم.

وفي القسم الثالث تحدث هنتنغتون عن ملامح النظام العالمي الناشئ ودور الدول المحورة في نشأته وأن هذا الدور محكوم بمفاهيم الصراع الحضاري الذي تحدد ملامح المنتصر فيها الأقدر على صناعة التحالفات، وهذا ما بينه هنتنغتون في القسم الرابع حيث حدد ملامح الصراع في التنافس الكبير بين الغرب المسيحي الغربي الحديث والشرق الإسلامي المنبعث من تحت ركام الأزمنة السابقة، وأن هذا الصدام في اعتقاده صدام حادث لا ريب فيه، والمستقبل في انتصار القيم الغربية على الحضارة الإسلامية التي يرى هنتنغتون في بقائها تهديد للبشرية والانسانية وهذا ما يسعى إلى تجسيده اليوم زعماء أمريكا بعد هجمات 11سبتمبر..2001.

أما كتاب فرنسيس فوكوياما[1] فيؤكد أن نهاية التاريخ سيكون بيد الليبرالية الديمقراطية الغربية التي انتصرت على الهمجية والبدائية، وأن التاريخ البشري قد وصل إلى "نهايته". وسيشهد ميدان الشرق الأوسط احتضان الانسان الأخير واستقبال معالم النهاية التي ترتبط بعقائد المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم.

ويعد كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" لفرانسيس فوكوياما بما احتواه من أفكار جريئة وخطيرة ومثيرة للجدل حول مسارات تطور التاريخ البشري والنظام السياسي والاقتصادي العالمي بعد نهاية الحرب الباردة. حيث أكد من خلاله على جملة من المسارات الأساسية هي:

---

1 – فرانسيس فوكوياما *(Francis Fukuyama)* عالم وسياسي وفيلسوف أمريكي من أصل ياباني عرف بشكل أساسي بكتابه الشهير "نهاية التاريخ والإنسان الأخير *(The End of History and the Last Man)*" الذي نُشر عام 1992 وأثار جدلاً واسعًا حول مستقبل النظام السياسي العالمي بعد نهاية الحرب الباردة. حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هارفارد. وعمل في وزارة الخارجية الأمريكية وكان باحثًا في مؤسسة راند .*(RAND Corporation)* وشغل في عدة مناصب جامعية مثل جامعة جونز هوبكنز وجامعة ستانفورد، كان يرى فوكوياما أن التاريخ، بمعنى التطور الأيديولوجي للبشرية قد وصل إلى نهايته مع الانتصار العالمي للديمقراطية الليبرالية، التي بامكانها أن تلبي كل حاجات الإنسان بفضل تأثير التكنولوجيا وبناء الدولة القائمة على الحكم الراشد ونبه إلى خطر صعود الثقافات الجديدة التي تبحث عن الهوية والسياسة، وبين أنها قد تأثر على الديمقراطيات الليبرالية.

ولفوكوياما مؤلفات عديدة بالإضافة إلى "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" مثل الثقة: الفضائل الاجتماعية وخلق الازدهار *(Trust: The Social Virtues and the Creation of Prosperity)*، وبناء الدولة: الحكم والنظام العالمي في القرن الحادي والعشرين *(State-Building: Governance and World Order in the 21st Century)*، وأمريكا على مفترق طرق: الديمقراطية، القوة، والإرث المحافظ الجديد *(America at the Crossroads: Democracy, Power, and the Neoconservative Legacy)*

نهاية التاريخ يطرح فوكوياما مسألة مفادها أن التاريخ الذي هو ناجم من تطور الأفكار وفق فلسفة هيجل والمتفاعل بالصراعات الكبرى بين الأنظمة السياسية، قد وصل إلى "نهايته" مع الانتصار العالمي للديمقراطية والليبرالية الغربية، كنظام حكم نهائي وأكثر عقلانية من غيره. ولا يعني هذا نهاية الأحداث السياسية والعسكرية الكبرى وإنما نهاية التطور الأيديولوجي، الذي رافق البشرية. وعلى الرغم من أن الظروف التي بلور فيها هيجل رؤيته حول نهاية التاريخ بعد سيادة الجنس الألماني[1] مرتبطة بظروف جد محدودة ولم يكن في مقدور هيجل ولا ألمانيا التحكم في مسار نهاية البشر مهما كانت درجة الرقي التي بلغتها الحضارة الجرمانية.

الانتصار العالمي للديمقراطية الليبرالية يرى فوكوياما أن سقوط الشيوعية يمثل انتصارًا ساحقًا للديمقراطية الليبرالية، التي تجمع بين الديمقراطية السياسية واقتصاد السوق الحر. ويعتبر هذا النظام الوحيد القادر على تلبية رغبات الإنسانية المادية والفكرية.

الاعتراف :(**Thymos**) يؤكد فوكوياما أن مفهوم "الاعتراف" المستمد من فلسفة أفلاطون وهيجل، والذي يشير إلى رغبة الإنسان في أن يُعترف بقيمته وكرامته قد تحقق. رغم النقائص الباقية ولا شك في أن الليبرالية هي أكثر الانظمة استجابة لهذه الرغبة الجامحة.

الإنسان الأخير يكشف فوكوياما عن مفهوم "الإنسان الأخير" النيتشوي، وهو الإنسان الراضي والمكتفي بحياة مريحة وآمنة في ظل الديمقراطية الليبرالية، ولكنه يفتقر إلى الطموح والشجاعة والرغبة في المخاطرة من أجل المثل العليا. لأن العالم سوف يكون تحت سيادة فلسفة مهيمنة قد تحقق حالة نهاية مرضية للتطور البشري؟؟

تحديات متبقية فكرة "نهاية التاريخ" عند فوكوياما لا تعني هيمنة مطلقة لليبرالية بل يقر بوجود وبقاء تحديات وصراعات في العالم، مثل القومية والعنصرية والتطرف الديني "الإسلامي".

مستقبل ما بعد التاريخ يرى فوكوياما في طبيعة الحياة في عالم ما بعد التاريخ سيادة سلام نسبي ورخاء اقتصادي، لكن قد يفتقر إلى الإثارة والتحديات الكبرى التي حفزت التطور التاريخي في الماضي، لانعدام المنافسة.

ويشير هنتغتون إلى أن الغرب سيتجاوز ثنائية الصراع بين البروتستانت والكاثوليك، ويرسم خط حضاري متزن وقوي إلى الشرق لوجود تجارب مشتركة بينهما داخل التاريخ الأوروبي، كالإقطاع والنهضة والإصلاح والتنوير والثورة الفرنسية والثورة الصناعية وغيرها.

---

1 – بن عيسى لزهر، انعكاسات أحداث ال11 من سبتمبر2001 على الحركة الإسلامية في الشرق الأوسط، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية، 2015، ص110.

بينما ستجد الشعوب التي تعيش شرق هذا الخط جنوبيون وأرثوذكس أو مسلمون، ينتمون تاريخيًا إلى الإمبراطورية العثمانية نفسها في خيارات متعددة واحتمال أن يطوروا نظمًا سياسية ديموقراطية مستقرة ضعيف. وقد يرسم الخط الحضاري من جديد داخل هذه الكيانات والجماعات البشرية ويسدل بين أجزائها كستار حديدي كما وقع في يوغسلافيا بعد انهيار المعسكر الشرقي وهذا الخط ليس خط اختلاف فحسب، كما يرى هنتغتون بل خط نزاع دموي كبير.

ويستدل الكاتب على رؤيته هاته بكون خط الانقسام بين الحضارتين الغربية والإسلامية، مستمر منذ 1300 سنة. فبعد صعود الإسلام، انتهى اكتساحه للغرب والشمال في تور عام 732. ومن القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر، حاول الصليبيون زرع المسيحية في الشام، ومن القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، غير الأتراك موازين القوى، وبسطوا نفوذهم على الشرق الأوسط والبلقان، وعلى القسطنطينية، وحاصروا فيينا مرتين. غير أن الأوضاع تغيرت تماما في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مع انهيار الخلافة العثمانية، وفرضت بريطانيا وفرنسا سيطرة جديدة على الغرب ومعظم شمال إفريقيا والشرق الأوسط.

ويتابع أنه بعد الحرب العالمية الثانية، بدأ الغرب يتراجع، واختفت الإمبراطوريات الاستعمارية، وبرزت القومية العربية أولاً، ثم الأصولية الإسلامية. وأصبح الغرب معتمدًا بصورة كبيرة على بلدان الخليج للتزود بالطاقة. وأصبحت البلدان الإسلامية الغنية بالنفط وبالأموال والأسلحة عاملا مؤثرا، يجب أخذه بعين الاعتبار، عندما تشاء. ووقعت حروب كثيرة بين العرب وإسرائيل التي أنشأها الغرب في قلب الشرق الأوسط[1].

وحاربت فرنسا حربًا دموية قاسية في الجزائر في معظم الخمسينات، وغزت القوات البريطانية والفرنسية مصر عام 1956، وهزمت القوات الأميركية إلى لبنان عام 1983، وبعد ذلك عانت القوات الأميركية إلى لبنان وهاجمت ليبيا، ودخلت في صراعات عسكرية مختلفة مع إيران، وليبيا والسودان وأفغانستان والعراق.

وباختصار فإن خطوط التقسيم الحضاري الشرق الأوسط بين الغرب الكاثوليكي والشرق الإسلامي عاودت الانبعاث لتعيد للواجهة ذلك الصراع التاريخي الطويل بين الحضارتين الغربية والإسلامية، وما تزال التوترات والصراعات قائمة إلى اليوم وفق رؤية الكاتب.

يستعرض الكاتب أمثلة على استمرار الصراع بين الحضارتين الغربية والإسلامية، مشيرًا إلى دعم الولايات المتحدة وحكومات الغرب لإسرائيل ضد العرب والمسلمين في الشرق الأوسط. ويذكر حرب الخليج عام 1990، واحتجاجات العرب، ضد ما اصطلح عليه دمقرطة المنطقة.

---

1 – اصدار خاص لملف المناظرة في شأن "صدام الحضارات" الذي سبق أن نشرته مجلة "شؤون الشرق الأوسط"، الصادرة عن "مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق"، في أعداد متفرقة. ويضم هذا الملف مقالة صاموئيل هنتنغتون "صدام الحضارات" في صبغتها الأولى المنشورة في دورية "فورين أفيرز" سرون خارجية، 1993 التي كانت الشرارة التي أطلقت المناقشة حول الموضوع، واستدعت ردوداً من اتجاهات ومواقع مختلفة في أمريكا وأوروبا والعالم.

ويؤكد أن هذا التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قرونًا بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينحسر، بل قد يصبح أكثر خطرًا. فقد تركت حرب الخليج بعض العرب وهم يشعرون بالفخر لأن صدام حسين هاجم إسرائيل ووقف في وجه الغرب، كما تركت كثيرين وهم يشعرون بالإذلال والسخط على الوجود العسكري الغربي في الخليج العربي، وعلى الهيمنة العسكرية الأمريكية القائمة، وعلى عجزهم من أجل رسم مصيرهم خارج الإرادة المهيمنة للفاعل الأمريكي الجديد.

نهاية التاريخ وتمثلاته في الحضارة الإسلامية:

منذ عصر النهضة العربية والتي كانت بعد حملة نابليون على مصر سنة 1798 بدأ العرب يشعرون بعالم متغير نحو الأمام والتحكم في الموارد الطبيعية وفي من يملكها.

وقد تزامنت حملة نابليون مع بروز حركات دينية جديدة أبرزها حركة محمد بن عبد الوهاب 1115-1206هـ مؤسس الحركة الوهابية في نجد والجزيرة العربية، ومن الاعلام المعاصرين له مرتضى الزبيدي ومحمد الصالح الفلاني التونسي والشوكاني صاحب التفسير ونادر خان شاه، ثم ما لبث أن جاءت دعوة جمال الدين الأفغاني1838 – 1897م ومن عاصره من الأعلام الشيخ حسن العطار، ومحمد علي باشا صاحب مصر، ورفاعة رافع الطهطاوي، وأحمد خان، ومحمد عبده. ومحمد إقبال 1877-1938م[1].

1 – شاعر وفيلسوف باكستاني، دعا إلى تجديد الفكر الإسلامي من خلال التركيز على الجوانب الروحية وتشجيع الابداع من مؤلفاته "تجديد الفكر الديني في الإسلام."

وحفل القرن الرابع عشر الهجري ببروز أسماء كبيرة من المصلحين والمجددين في مختلف فروع الدين والحياة، كان لها شأنا بارزا في بحث مسألة التجديد في الدين وبعث الشريعة وبناء الدولة التي تحمي سودة المسلمين، وبذلوا الوسع في تغيير أوضاع الناس المزرية من الجوانب العقائدية والفكرية، وإعادتهم إلى جادة الصواب.

وكان رجال التنوير الأوائل أمثال رفاعة الطهطاوي وفارس الشدياق والصفار المغربي الذين اتصلوا بأوروبا واستنتجوا أن مكانة الدول الغربية إنما حدثت بفضل ما تملك من نظم وقوانين[1]. كما أعزى اطلاع الإصلاحيين على فلسفة الدولة الحديثة من خلال حركة محمد علي باشا، الذي قام بها وانسلخ عن الدولة العثمانية ورغم أنها لم تحقق ثمارا مرجوة غير أنها جديرة بالاهتمام والدراسة.

وكانت الدولة العثمانية تمثل في نظر الكثير حجر عثرة في وجه الاصلاحات والانطلاق نحو الحداثة والتطور للحاق بركب المدنية الغربية وكانت المطالبة بالتحديث التي سارت فيها الدولة بضغط من أوروبا خدمة لمصالحها[2]، وتوالت التجارب والنكبات واختلطت تجارب التحديث مع نكبات التدخل الأجنبي وافلاس الخزينة ومعارضة طبقة المحافظين التي تسيطر على 90 بالمائة من فعاليات المجتمعات العربية والإسلامية آنذاك.

وطرحت للمناقشات قضايا جوهرية بعضها بصورة بريئة وبعضها الآخر من ترف الكلام، ومما طرح هل الإسلام ثورة ام حركة اصلاح وتغيير؟ هل يملك الإسلام بناء تصوريا للدولة الحديثة، وهل يستطيع توفير الحرية الفردية الكاملة التي تمكن الانسان من الإبداع وتحقيق ذاته والتميز؟ ثم ما هي مصادر النهضة في الفكر الإسلامي؟ وما علاقة العقل بالنقل وما هي حدود كل منهما؟ وما مكانة المرأة في مجتمع التغيير الذي ننشده؟؟

لقد اختزل التغيير خلال قرنين من الزمن الكثير من الفراغات في حياة الشعوب العربية والاسلامية التي انسحبت نحو الماضي بصورة نهائية لا رجعة فيها دون أن تتمكن القومية العربية وحركة النهضة واليقظة العربية ولا الجامعة الإسلامية من ملئها ولو بلا شيء.

ولم يكن الغرب بمفهومه الانساني ولا الحضاري قادرا على تجاوز أزمات التاريخ التي عاشها قديما مع الشرق الإسلامي فغالبية الغربيين، ممن يمثل تاريخ الإسلام والغرب مفهوماً غامضاً لهم، تشكلت في أذهانهم معلومات ومواقف تجاه المسلمين والعالم الإسلامي بفعل التصورات والتجارب التي صكت كما يقول أحد المفكرين في كبسولات من عينة "الأصولية الإسلامية" و"الإرهاب". وقد باتت عبارة "الأصولية الإسلامية" وسيلة كافية وإن

---

1 – بلقزيز عبد الإله **الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط02، 2004. ص25

2 – بلقزيز عبد الإله، المرجع نفسه، ص32

كانت مظللة[21]، تستخدمها الحكومات ووسائل الإعلام الغربية لتغليف مجموعات تنتشر في طول العالم الإسلامي وعرضه، كما صارت هذه العبارة جاهزة للاستخدام السياسي لبقاء أنظمة الحكم الفاسدة في البلاد الإسلامية.

وبالنسبة للكثيرين فإن كلمة الأصولية تعني جموع من الغوغاء تهتف بالموت لأمريكا، وقتل وخطف طائرات وتهديد لحياة الأبرياء، ونساء مقهورات؟

وفي منتصف القرن العشرين كان معظم العالم الإسلامي قد حقق الاستقلال السياسي. لكن ضمن مسارات علمانية اختارها الحكام والنخب الحديثة التي كونتها الدول الاستعمارية ذاتها. وحتى ولو لعب فيها الإسلام دوراً مهماً في الحركات الوطنية، فإن الجيل الجديد الذي اعتلى السلطة مال نحو توجه أكثر علمانية.

وعندما نتأمل نجد ثلاثة اتجاهات أو نماذج للعلاقة بين الدين والدولة يمكن تمييزها في العالم الإسلامي هي: الإسلامي، والعلماني، والمسلم.

وكانت المملكة السعودية العربية دولة إسلامية أعلنت نفسها أنها ملكية آل سعود شرعيتها منبثقة من الإسلام وتحكم وتحتكم بالقرآن والشريعة الإسلامية. واستخدمت السعودية الإسلام لإضفاء الشرعنة على سياستها الداخلية والخارجية.

و نجد تركيا في المقابل اتخذت شكل دولة علمانية تحت زعامة كمال أتاتورك1923-1938 الذي ساس البلاد بعملية تتريك وتغريب شاملة، وعلمنة عميقة في اللغة والتاريخ والثقافة فحولت الحروف العربية في الكتابة إلى غربية، ومجد التراث التركي. وفصل الإسلام عن الدولة، وأغلق المدارس الدينية وحرم ارتداء الزي الإسلامي وغيرها[3].

وكذلك الحال بالنسبة لأغلب البلدان في العالم المسلم فإنها تقف في مكان وسط فهي دول مسلمة، من حيث أن معظم سكانها مسلمون وتراثها إسلامي، بيد أنها اتخذت مساراً علمانياً معتدلاً في التطور. وبينما تطلعت الغالبية صوب الغرب[4].

والأمثلة على ذلك كثيرة كثورة عبد الناصر 1952 والنميري الذي وثب على السلطة في السودان سنة 1969 والقذافي من بعدهما، حيث وقع الثلاثة ميثاقا يلتفون بموجبه مع ليبيا سنة 1970

---

1 – جون اسبيزيتو، التهديد الإسلامي حقيقة ام خرافة، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار الشروق، مدينة نصر، جمهورية مصر، 2002، ص111.

2 – جون اسبيزيتو المرجع نفسه ص111.

3 – المرجع نفسه ص114.

4 – المرجع نفسه ص114.

يقضي ببناء تكتلهم على أسس القومية الاشتراكية العربية العلمانية المتحفظة جدا والمعادية لأغلب القيم الدينية والاسلامية.

وبعد نكبة 1973 تبين للناس هشاشة الفكرة القومية العربية والاشتراكية وانبعثت الأفكار الإسلامية واتجته الزعامات القطرية العربية تتغزل بالدين دون فهم أو وعي. سواء في ليبيا والسودان أو مصر فقد خاطب القذافي الناس بحماسة:" أيها الناس، مزقوا كل الكتب المهمة التي لا تدفع إلى الأمام بقيم التراث العربي وتراث الإسلام، في الاشتراكية والتقدم" ولم يكن من شأن ذلك سوى أن تسجله دوائر الغرب في سجلات التطرف والتهديد للمصالح الغربية. وهو نفس المصير الذي لحق بزعيم الثورة الايراني الخميني[1].

وساهمت هذه التحولات في صناعة الخوف من الاسلام وخلق أجواء الحرب والصراع بين الحضارتين، وزادتها تأجيجا دوائر السلطة الرابعة الإعلامية التي تصنع الحدث وتوجهه[2].

ومع بداية التسعينات وباندلاع الأزمة في الجزائر بدأت تتجلى مظاهر التوتر ودخول اللعبة السياسية العالمية منعطف جديد حيث لاحت بوادر الاحتقان في العلاقات الدولية بين العالم الإسلامي والغرب، واستحواذ كثير من الحركات المتشددة على صناعة المشهد الإعلامي الدولي وبلورة مادة مثيرة صاغتها دوائر الإعلام بذكاء، من خلال أخبار "الجهاد" ضد الكفار وبناء الدولة الإسلامية المنشودة.

وفي سنة 1991 قبل حرب الخليج الاولى دعا صدام حسين المسلمين ليهبوا ويعلنوا الحرب الصليبية على الغرب، واستثمر المحافظون الراديكاليون في الغرب نماذج خطاب العداء في بذر الكراهية ومساواة الإسلام بالنزعات المتطرفة التي تهدد الغرب، واعتبار الدين فكر أزمة يهدد السلام والأمن العالمي[3].

وقد اختارت وسائل الإعلام عناوين صحفها وأخبارها بدقة لتوجيه أصابع الاتهام نحو العالم المسلم، من بينها "لا تبحث عن المعتدلين في الثورة الإسلامية"، "الجهاد يتجه نحونا"، "صعود الإسلام في فرنسا يزعزع عامة الشعب ويقود إلى حركة رجعية"، "انتبهوا: الإرهاب الإسلامي، فرقة انتحارية عالمية"، وغيرها. وهو ما حذا بالطرف المحلي إلى تخشيب نظرته للغرب واشتداد الاستقطاب الذي ستدفع ثمنه الشعوب قاطبة.

وفي هذا المنوال صرح سياسي بريطاني بحقيقة أن سلوك الآخر هو من يصنع صورته عندنا وأن كيفية تفكير غير المسلمين في الاسلام تتحكم في الكيفية التي يفكر بها المسلم في غير المسلم وكيفية تعامله معه[4].

ولقد رافق هذا الصراع فشل كبير في أغلب البلاد الإسلامية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والفكري والثقافي فانتشر الفقر والبطالة والمجاعات والأمراض الاجتماعية والطبقية وفشلت أغلب السياسات

---

1 – جون اسبيزيتو المرجع سابق ص115.

2 – جون اسبيزيتو، المرجع نفسه ص292.

3 – المرجع نفسه ص296

4 – جون اسبيزيتو، المرجع سابق ص295.

التنموية التي سطرتها الحكومات مما دفع بالشباب إلى الهجرة والبحث عن سبل حياة أفضل في الغرب، وروج الاعلام الغربي إلى أن الإسلام ومثله الكلاسيكية غير صالحة لصناعة الحياة واخراج المجتمعات من حالة البداوة والتخلف، خلافا للقيم الليبرالية الغربية التي حققت ما يصبو إليه الانسان واستقطبت دوائر الغرب من جديد هذه المعادلة، واعتبرت مكاسب الرجل الغربي مكاسب مقدسة ويجب حمايتها من أي تهديد، بل ويجب توجيه السياسة العالمية نحو هذا الهدف السامي.

والعالم الإسلامي اليوم رغم أزماته العميقة والمتعددة مدعو إلى الثبات في مواقفه العقدية والفكرية والأخلاقية وإعداد النشء عليها وعدم التسليم بمقولات الصدام الحضاري، والنهايات البائسة التي يريد أن يصلها الغرب، وتصورها دوائر الإلحاد الفكري والديني في الفكر المسيحي الجديد واليهودية الماسونية، ففي النهاية ستنتصر إرادة الخير الإسلامية التي تنبع من عمق الحقيقة التي جاء بها الإسلام وأكدها القرآن الكريم.

ومن معالم هذه العقيدة الفكرية:

علم المستقبل والغيب بتفاصيله ونهايته لا يعلمه أحد، سواء من حيث التوقيت أو من حيث الكيفية، وليس بمقدور الغرب أن يحدد الساعة ويحسم في صراع مهما بلغت قوته بما يملك من ترسانة نووية، ولا يقدر على إفناء الحياة التي أرادها الله وسطرها حتى تبلغ منتهاها الذي أراده منها خالقها. ولا يمكن لأي بشري أن يكيف قصة النهاية وفق معتقداته الفاسدة ويروج لها ليرص الناس خلفه وتحت سطوته وسلطانه.

تملك الثقافة والتراث الإسلامي رصيدا كبيرا بما ساقه القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من معالم وملامح للناس تدل على اقتراب الساعة ونهاية التاريخ كما اصطلح فلاسفة الغرب على تسميته، تطرقت لها عشرات المئات من النصوص الدينية الصحيحة، وتتعلق بأنباء آخر الزمان والتحولات المرافقة له من بعثة رجل العدل "المهدي" إلى هزيمة اليهود واندحارهم من فلسطين والشرق الأوسط عامة، إلى انكسار الغرب المسحي في معركة حاسمة مع المسلمين، لكن ذلك لا يعني الاستسلام لهذه النصوص والاحتباس داخلها وانتظار وقوعها بروح سلبية وترك المجال للغرب ليمارس المزيد من التغول والتهور على البشرية، بل يجب السعي لتجسيد قيم الفكر الإسلامي وترشيد العقل الانساني وتهذيب أخلاق البشرية جمعاء بعد هذا التيه الذي بلغته في ظل الفكر الغربي العلماني الملحد.

وقد حدد أحد المجتهدين في حقل الاستشراف الإسلامي جملة من المعالم لبلوغ الهدف المنشود منها:

الدعوة لعدم الاشتغال بالزراعة من طرف الأمة ذلك أن الاكتفاء بالاشتغال بالزراعة فقط يورث الفقر والبؤس ويورث المذلة[1].

تشجيع البحوث الاجتماعية والاهتمام بالإنسان وتحقيق الاستقرار الاجتماعي والانسجام الفكري داخل النسيج البشري الاسلامي.

ضبط النظام الاقتصادي للإسلام وتفعيله وفق القواعد الشرعية الإسلامية القائم على تحريم الربا ودفع الزكاة واستغلال الموارد الطبيعية[2].

كما نوه بوجوب التأسيس فكرة أن وراثة الأرض ستكون للأصلح من الناس وإن التحولات التي رافقت البشرية منذ بداية التاريخ إلى اليوم تتوافق إلى حد بعيد مع أطروحات الفكر الإسلامي سواء ما تعلق ببداية الخلق أو انتهائه وما حاجة البشرية اليوم إلا أن تقف على هذه الأطروحات وتقتنع بها وهذا الدور ملقى على دوائر التفكير الاستراتيجي الإسلامي. وتنبيه شباب المسلمين اليوم الذين تأثروا بالحضارة الغربية ويضربون صفحا عن ماضيها البائد المليء بالدم والنار والقتل والأشلاء، ويفعل الشيء نفسه في الحضارة الإسلامية حين ينظر في حاضرها البئيس بنكد وجفاء ولا يلتفت لماضيها المشرق[3]..

ويرى مفكر اسلامي آخر أن العولمة الأمريكية ما هي إلا تسويق جديد للإمبريالية في ثوب جميل حتى لا يصدم الأطراف الأخرى[4]، ثم يتساءل هل أمريكا وحلفاؤها من خلال التدخل في الشرق الأوسط تبغي تأسيس نظام عالمي جديد، أم نظام جديد للعالم تكون مهيمنة عليه ومتحكمة فيه؟

إن ضرورة الحرص على بعض السمات البنيوية التي تمكن من تحقيق تماسك المجتمع ضروري جدا كالشعور بالمواطنة والاحساس بالانتماء، وتكون هذه السمات وريثة التنشئة الاجتماعية السليمة والتنشئة السياسية الهادفة، وتجعل من الفرد مستشعرا قيمته ومكانته في الدولة وله فيها حقوق وامتيازات كما عليه واجبات ضرورية. وعلى الدول القطرية أن تنتبه إلى مكامن العجز والضعف في مواجهة العولمة وما تحمله أمواجها العاتية من تحولات فكرية

---

1 – *علي أوزاك وآخرون، الانسان ومستقبل الحضارة وجهة نظر اسلامية كتاب المؤتمر التاسع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامي، عمان الاردن 1994، ص493.*

2 – *علي أوزاك المرجع نفسه ص.ص .494.495.*

3 – مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دمشق سوريا، 1986، ص89

4 – مولود زايد الطيب، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، المركز العالمي للدارات والبحث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2005، ص93.

وسياسية ومزاجية قد تسهم في تفكيك الارتباط بين الناس والدول التي يعيشون ضمنها[1]. إن من واجب الناس إدراك طبيعة الزمن وانكماشه وتقلص المكان واختفاء الحدود، وقد يواجه الناس تهديدات جديدة وغير مرئية[2].

كما ركزت بعض الآراء على أهمية مؤسسات الرعاية الاجتماعية والمنظمات الجماهرية والمؤسسات الاجتماعية التي تلعب دورا بالغ الأهمية في صيانة الأفراد واحتضان همومهم ومشاكلهم المختلفة.

وتلعب كذلك اللغة دورا حاسما وتمثل سدا منيعا في وجه العولمة الأمريكية زمن الأحادية والحفاظ على اللغّة معناه الحفاظ على الهوية الوطنية المستهدفة من طرف العولمة والحضارة الغربية التي تحملها. واللغة هي أساس الثقافة ومعين التميز والثبات للحفاظ على أركان المجتمع وخصوصيته[3].

لقد بلغت الحضارة الغربية دورتها التأثيرية في البشرية من خلال قيادتها لها بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من انبعاث زعيم الوحدة جورج واشطن إلى مبادئ مونرو التي أرست قواعد القوة والأمن السياسي الداخلي والخارجي وسياسة الباب المفتوح، إلى زعيم المناورة وودرو وولسن ومبادئ الأربعة عشر، ومن ميثاق الاطلسي لفرانكلين روزفلت إلى الامم المتحدة وخطة مارشال وانهار الاتحاد السوفياتي أمريكا عبر كل هذه المحطات مثلت ثقلا نحو التقدم الليبرالي والقيم الانسانية[4]، كما يقول أحد المفكرين الغرب، وأن ترويج الديمقراطية الليبرالية بالقوة والعنف والضغط والإكراه إنما هو علامة قصور وضعف خاصة بعد وصول المحافظين الجدد المتطرفين للسلطة في أمريكا سنة 1997 [5].

خاتمة:

---

1 – مولود زايد الطيب، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، المركز العالمي للدارات والبحث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2005، ص219.

2 – للتأكيد على ذلك كما يقول المتدخل أنه من بين الصراعات المسلحّة الرئيسية التي نشبت خلال الفترة من عام 1989 م إلى عام 1998 م وعددها 61 صراعا كان من بينها ثلاثة فقط صراعات بين دول، أما البقية فكانت صراعات أهلية، ما يدل على حدوث خلل أكيد في التماسك المجتمعي أدى إليه الوضع الجديد الذي جاءت به العولمة الهوية : تعد الهوية شيء أساسي للفرد كما للمجتمع.

3 – مولود زايد الطيب، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، المركز العالمي للدارات والبحث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2005، ص93.

4 – والتر ماك دوجال، أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ 1886 ، ترجمة رضا هلال، دار الشروق، ط02، مدينة نصر، القاهرة، مصر، 2001، ص21.

5 – بن عيسى لزهر، انعكاسات أحداث ال11 من سبتمبر2001 على الحركة الإسلامية في الشرق الأوسط، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية، 2015، ص111.

من خلال ما تقدم عرضه يمكن أن نستشف جملة من الأفكار منها:

مفهوم صراع الحضارات في الفكر الغربي يختلف عنه في الفكر الإسلامي، فالحضارة الإسلامية لم تكن أبدا لتحتل البلاد والعباد وتستغل ثرواتها ظلما وجورا وفي التاريخ الإسلامي عشرات المئات من الامثلة على ذلك، وان كان للحضارة الإسلامية معنى في هذا فهو من جانب التدافع والاحتكاك القائم على الايجابية والتنافس بين الشعوب والأمم والثقافات المختلفة.

صراع الحضارات في الفكر المسيحي واليهودي يطرح نفسه بكل ما يحمله التاريخ من مآسي ونكبات عاشتها البشرية في ظل هيمنتهما ولا يمكن بأي حال من الأحوال المقارنة بين حقب التاريخ التي تحكم فيها اليهود والمسيحيون في رقاب الآخرين.

إن مستقبل العالم والبشرية في ظل استمرار هيمنة الغرب، له مزيد من الصور القبيحة والانحراف الجماعي للبشرية من مراتب الخير والآدمية والاحاسيس النبيلة إلى مراتب التوحش والتغول والانحراف الشامل...

استمرار سيطرة الغرب على الشرق الأوسط بثرواته ومقدساته سيكرس المزيد من التشتت والضياع والتيه ويتسبب في تعطيل النهضة الإسلامية الشاملة التي يترقبها المحرومون في هذه البلدان ونتائج ذلك وخيمة على حاضر الأجيال ومستقبلها.

في ظل الفكر الإسلامي وعودة الحضارة الإسلامية إلى التفاعل ستعود الطمأنينة والاستقرار والسلام بما توفر الحضارة الإسلامية من عناصر الأمن وقواعد العدالة والأخوة الدينية والأخوة الإنسانية التي تزمها الغرب لكن بقياس على شعوب أوروبا وأمريكا فقط.